وهذه قصيدة أخرى بعنوان « مولد » للشاعر الكبير جيوفانى باسكولى استوقفنى ما فيها من عاطفة فياضة وروعة فآثرت نقلها إلى العربية أيضاً

مولد

ثلاثون عاماً تتالت منذ ولدتنى يا أماه ، منذ آلمتك أولى شهقاتى الضعيفة بأكثر من أوجاعك الشديدة الغائرة

وغذيتنى من ثديك المتفجرين حناناً وأنت صبور تساورك المخاوف والأشجان ، حتى إذا تكامل لحمى من لحمك ودمى من دمك فاستقرّ قلبك بأكمله فى قلبى ، جاء اليوم الذى توارت فيه منذ عشرين عاماً

وهأنذا أحاول عبثاً أن أجسّم عينيك وسمائك لأشاهدك بخيالى . لقد أذبل الزمان ناضر تذكارى فلم أعد أعرفك يا أماه !

أما أنت فلا تزالين حيث يستقر الأموات فى مرابع المقيع تستوقفين أحلامك لتداعب أناملك غدائر طفلك الصغير

(الاسكندرية) فليكس فارس

دراســـات فى الأدب

للدكتور عبد الوهاب عزام

(تابع)

(ج) ومن المؤثرات فى الأدب الحرية :

وإنما يترعرع الأدب فى ظلال الحرية ، فإذا منع البغْىُ أمة أو طائفة أن تُبين عن آرائها وعواطفها وتعرب عن آلامها وآمالها ، لا يزدهر فيها الأدب

وإذا اشتد الحجر على أمة فانبرى جماعة من أبنائها يجاهدون فى حريتها ويجالدون جبابرتها لم يكن لهم بدّ أن يتخذوا الأدب القوىّ لبث الدعوة وإيقاظ النفوس وتنفيرها من المذلة وحفزها إلى الإقدام ومجادلة الخصم بالحجة البالغة والبرهان الدامغ ، فينشأ لهم أدب حىّ قوىّ . ولا يزالون فى جهادهم حتى يدال لهم فتسع الحريةُ الأمةَ كلّها ، وتنشط النفوس للإبانة عن سرائرها والإعراب عما فى ضمائرها . وأدب المجاهدين فى كل عصر من أروع أنواع الأدب لأنه أدب النفس الإنسانية وهى تدفع عن كيانها ، وتجادل عن حياتها

فالحرية العامة والجهاد لها من أجدى الأمور على الأدب

وإذا نظرنا إلى الأدب فى فرنسا قبل الثورة وأثناءها وبعدها ، وإلى الأدب فى تركيا قبل مائة سنة والأدب فيها حين الجهاد للحرية كشعر نامق كمال وأمثاله ، ثم الأدب فى الثلاثين سنة الأخيرة ؛ وإذا نظرنا أيضاً إلى الأدب فى مصر قبل عشرين سنة وإلى الأدب فيها اليوم عرفنا فرق ما بين الحرية والعبودية ، وما يجدى الجهاد للحرية على آداب الأمم .

وكم أنتج جدال الأحزاب السياسية من خطب ومقالات لها فى الأدب أثر لا ينكر

والحرية الفكرية أوسع من الحرية السياسية فربما تنال الأمة حريتها السياسية ولكن يسيطر عليها أو على فرقة منها مذهب أو عادة قديمة فيمنعها بعض حريتها فى التفكير ، وانظر إلى المعتزلة والحنابلة فى تاريخ المسلمين تدرك كيف أجدت على الأدب حرية الأولين ، وجنت عليه عصبية الآخرين . وكذلك التزام موضوع أو أسلوب فى الأدب اتباعاً للقدماء يسلب الأمة بعض حريتها الأدبية ويمنعها أن تفنن فى موضوعات النظم والنثر وأساليبها

على أن الفوضى فى الأدب ، وركوب كل إنسان رأسه على غير بينة ، وحيد الناشئين عن سنن الأئمة دون بصيرة — تجنى على الأدب ، ما يجنيه التضييق والحجر ، أو شراً من ذلك

(د) الحروب :

النزاع بين فريقين يهيج كل ما عندهما من قوى نفسية ومادية ؛ وكلما كان الخطر أعظم كان الاهتمام والإعداد أكبر . وفى الحروب تتعرض النفوس والأموال والأوطان للتهلكة فتثور أقصى ما فى الإنسان من غريزة وأسمى ما فيه من عاطفة . فتدعو كل أمة أحزابها وتحرضهم على قتال العدو ؛ وإذا أتيح لها الظفر عظمت أفعالها ، وأكبرت مآثر أبطالها ، وفى هذا الإعداد للقتال والتحريض عليه والتغنى بالظفر والإشادة بالبطولة مجال واسع للأدب

ومن أووع ما أنتجت الآداب القصص الحماسية : فالمهابهارتة والإلياذة والشاهنامة والقصائد الحماسية فى الشعر العربى الجاهلى

والإسلامى ولا سيما شعر أبى الطيب المتنبى ، وقصة عنترة وقصص أبى زيد الهلالى وغيرها كل هذا من آثار الحرب ومآثر الأبطال فيها

(هـ) الدين :

والدين له على الفنون سيطرة عظيمة ، فهو يستولى على العقل والعاطفة فيسيرها كما يشاء ، ويصبغ كثيراً من نتاج الأدب بصبغته . ولعل أروع أبنية العالم وأبقاها على العصور المعابد ؛ فحيثما سار الإنسان على وجه الأرض وجد علوم الأمم وفنونها وعواطفها ممثلة فى المساجد والكنائس والمعابد الأخرى

والأدب الدينى من أقدم آثار الأمم الأدبية . فكتاب الموتى عند قدماء المصريين ، وأناشيد فيدا عند الهند ، وسفر أيوب فى التوراة ، وأناشيد جاثا فى كتاب زرادشت الذى يسمى الأبستا ؛ كل أولئك من آثار الدين فى الأدب . وإذا نظرنا إلى الدين الإسلامى وتصورنا ما أحدثه القرآن فى الأدب العربى والآداب الإسلامية عامة ، وما يحدثه اليوم ، عرفنا مبلغ تأثير الدين فى الأدب ، وتصور ما أنتج الإسلام من خطب ومواعظ وقصص فى العصور المتطاولة لتعرف جانباً من تأثيره . ثم هذا الشعر الصوفى الرائع فى الآداب الإسلامية — ولا سيما الفارسية — نفحة من نفحات الدين

(و) المحاكاة :

ومما يؤثر فى الأدب المحاكاة والتقليد — تقليد أمة آداب أمة كما قلد الرومان والأوربيون أدب اليونان ، وقلد الفرس والترك وغيرهم الأدب العربى ، وقلد الترك والهند الأدب الفارسى ، وكما قلد الترك فى العصر الحديث الأدب الفرنسى وقلد المصريون الآداب الأوربية

وكذلك تقليد النابغين فى الأمة الواحدة ؛ فإذا نبغ شاعر أو كاتب حاكاه معاصروه ، ثم لم يعدم مقلداً فى كل عصر . ويكاد تاريخ الأدب يكون تاريخ النابغين فى العصور المختلفة ومن عداهم مقلدون أو كالمقلدين . فالجاحظ ، وابن المقفع ، وبديع الزمان ، وأبو تمام ، والمتنبى ، لهم تأثير بين فى الأدب العربى حتى عصرنا هذا فإن فتح النابغة للناس فنوناً من الأدب الجيد ، والأساليب الحرة كان رائد خير فى الأدب ، وكان قدسنّ سنة حسنة لا تزال تزيد فى إحسانه على كر الأيام كما فعل ابن القفع والجاحظ وأبو العلاء ؛ وإن سلك سبلا وعرة وخلق أساليب متصنّعة متكلفة قد غطّى نبوغه على عيوبها سار الناس وراءه . وربما ورثوا عيوبه دون مزاياه ، وأورثوا الأدب صنوفاً من القيود تضيّق الأدب وتميت الابتكار فى نفوس المنشئين كما فعل مسلم وأبو تمام فى البديع ، وأبو العلاء فى التزام ما لا يلزم ، والحريرىّ فى المقامات ، وغير هؤلاء فى ضروب المحسنات التى شغلت الشعراء والكتاب عن المعانى بصناعة الألفاظ .

وكثيراً ما يخلق التقليد رجلاً فى غير عصره . كما تجد اليوم من يقلد أحد النابغين القدماء فيشبه هذا القديم أكثر ما يشبه معاصريه . وكثيراً ما أحيا التقليد الأدب بعد موته . فتقليد القدماء من أدبائنا كان فاتحة نهضتنا الأدبية الحديثة كما كان تقليد اليونان والرومان باعث الأدب الأوربى فى عصر النهضة . فقد تخطى البارودى — مثلاً — الأجيال وحاكى الجاهليين والإسلاميين فأتى بنمط من الشعر الجزل هو خير مما كان معروفاً فى وقته ، وقبل وقته . فكان طليعة الشعراء العصريين .

(ز) والاستطراف

ومما يؤثر فى الأدب أيضاً الاستطراف أو حب التجديد ، والنزوع إلى الطريف . ففى الأدب كما فى غيره طرائف (مودات) . يملّ الأديب موضوعاً مبتذلاً ، أو طريقاً مسلوكة قد سار عليها الخاصة والعامة ، ويأنف أن يكون واحداً فى هذا السواد فيسلك طريقاً آخر فى الموضوع أو البيان ؛ فإن وُفق فقد سنّ للأدباء سنة جديدة ، ومهّد فى الأدب سبيلاً محدثة . وهكذا حتى يظهر أديب آخر يحل هذه الطريقة فيحيد عنها ويهلم جراً . وقد يُستطرف بعد أجيال موضوع أو أسلوب بعد أن ابتذل وهجر وهلم جرّا .

فهذا الاستطراف والاستهجان له أيضاً أثره فى تحوّل الأدب

(ح) النقد :

وأحسن المؤثرات فى الأدب وأنفعها النقد الصحيح ؛ فإن الناس يسيرون على النهج المألوف لا يرون خطأه ولا يبصرون عيبه حتى يرشدهم النُّقّاد فيبيّنوا لهم الخطأ والصواب ، والرشد

والنيّ ، والحسنُ والقبيح فى سيرتهم . وإذا تناول النقد مسألة أدبية كشف عن الحق فيها أو ثار حولها الجدال ؛ وما يزال المتجادلون حتى تنجلى الحقيقة من تصادم الحجج . فالنقد إيقاظ الأفكار النائمة ، وتنبيه الآراء الغافلة ، ومثار جدال تتبين فيه الحقائق إذا صحبه الإخلاص وقارنه الصدق

(ط) المكافأة :

وتحريض أصحاب المواهب على الإنتاج بالاعتراف بفضلهم والإشادة بأعمالهم أو منحهم الأموال التى تعينهم على الفراغ للأدب وإتقانه ، مما أجدى على الأدب فى عصوره ، وحفز همم الشعراء والكتاب إلى الإجادة والإبداع ؛ ولذلك نرى تاريخ الأدب وكبار الأدباء متصلاً بالملوك والأمراء والكبراء الذين أثابوا القائلين على إحسانهم وحثوهم على الازدياد

وإذا نظرنا إلى تاريخ الخلفاء العباسيين وما أفادوا الأدب بمثوبتهم الشعراء والكتاب ونظرنا إلى تنافس ملوك المسلمين فى المشرق والمغرب فى الاستكثار من الأدباء حولهم وتزاحم ملوك الطوائف فى الأندلس على الاستئثار برجال الأدب — عرفنا كيف يُجدى التحريض والمكافأة على الآداب . وحسبنا أن نتذكر ازدحام الشعراء والأدباء حول سيف الدولة الحمدانى حين رأوا فيه أميراً ألمعيا وفتى عربيا يجزل الثواب ويسخو بالمال

هذه من أسباب تنيّر الأدب . والباحث فى الأدب العربى يستطيع أن يتبينها فى أطوار كثيرة منه ؛ فإذا بحثنا فى صور الأدب العربى فى الجاهلية وما فعل بها الإسلام ، ثم نظرنا إلى شعر الفتوح الاسلامية ، وشعر الوقائع العربية ، والمذاهب السياسية ، وعصبيات العدنانيين والقحطانيين ، ثم عصبيات العرب والعجم ، ومدائح الخلفاء والأمراء ، وتهاجى الشعراء ، وما نشأ فى الدولة العباسية من ضروب فى النثر والشعر وأثر اختلاط الأمم ، والترجمة عن اللغات المختلفة ، وقرنا شعراء المشرق بشعراء مصر والمغرب والأندلس ، واستعرضنا بعض الحادثات السياسية والاجتماعية فى هذه المواطن ، ودرسنا تاريخ النابغين المجددين ... الخ . وجدنا فى كل هذا تطبيقاً لما ذكر من مؤثرات الأدب

عبد الوهاب عزام

الدعوات المستجابة ...

للشاعرة أيملى هوبلر ولكنكس

للآنسة الفاضلة « الزهرة »

استمنحتُ الثروة ، فسُدّتْ لى أكنافُ التوفيق ، وأسبغت علىّ آلاء النوال الطائلة ، وتحوّل كلُّ ما لمسته يداى إلى ذهب إبريز ... ولكن ... واحسرتاه ! لقد تضاعفت همومى ومتاعبى ، وتناقصتْ راحتى ورفاهيتى ، حين فلج سهمُ طلبتى ، وزكا منبتُ رجائى ، وأخصب زرع ابتهالى ...

* * *

استوكفتُ المجدوالعزّ ، فسمت ذكرى يشيّع بالحمد ، ويذيل بالثناء ، من الولدان الروقة الميامين ، الذى لحظهم الفلك بعنايته ، ووسمهم الكمال بنهايته ؛ ومن الشيب السارين فى طريق الرشد ، بمصباح الكبر ، المتحلين بأبهة الحنكة وشيمة الوقار ، الجامعين بين قوة الشباب واستحكام التهذيب والتحليم وتناهى الخلال . ولكن ... أواه ! أواه من الآلام والخسار والمضار التى تجىء فى مواكب الشهرة . حقاً ، إنى لم أكن سعيدة إذ ذاك ...

* * *

اجتديتُ الحبّ ، وركبتُ إليه ظهور التوسل والضراعة ، ففاز قلبى بمبتغاه ، واغتبط بنجيج مسعاه ، وعاد بمصداق أمانيه ، ولكن لهب نيران الحب الآكلة اندلع إلى قلبى المتضور ، وجسمى المنهوك . وتلذع أوراها فى عقلى التلظى . بيدَ أنها قد كبتْ ، ولم يبقَ منها إلاّ ما غادرت فى القلب والجسم والعقل جميعاً ، من وسوم لعجها وسفعات حروقها ...

* * *

اتصلتُ ببابه تعالى ، ونزعتُ إليه برجائى ، أن يمنحنى عقلاً راضياً قانعاً ... وأخيراً ! بزغ على قتام روحى المكتئبة نور عظيم ، وغمرنى أمنٌ تام ، واطمئنان كامل . ووردت علىّ قوة جلىّ استأنفتْ نشاطى ، وشدتْ عزمى ، وشرحت صدرى . فياليتنى كنتُ التمست هذه الطلبة التالية قبل كل طلبة أخرى .

(الزهرة)